

والخط، والجهاز القادر على تحقيق حلم الوطن القومي اليهودي، الى ان تمكن هرتسل هذا، بعد وضعه كتابه «الدولة اليهودية»، من عقد المؤتمر الصهيوني الاول في بازل السويسرية، في ٢٧ آب (اغسطس) ١٨٩٧.

عاصر هرتسل قضية درايفوس ومحاكمته بتهمة الخيانة، وذهب الى ان هذه القضية اللاسامية جعلته صهيونياً. واللاسامية هذه مرض عضال عند الامم في كرهها لليهود، ولا حل لها الا بأيجاد وطن للشعب اليهودي والحصول على براءة من دولة اوروبية تتعهد حماية اقامة الوطن وتساعد على تحقيق الفكرة. وقد اوضح رأيه هذا في كتابه «الدولة اليهودية».

بعد ذلك، عمد هرتسل الى اغراء دول اوروبية عدة، مظهراً المنافع التي ستحققها تلك الدول في حال مساندها لتجسيد دعوته الهادفة الى اقامة وطن ودولة في فلسطين. «وقد ركز هرتسل، في مفاوضاته مع السلطان ورجال السلطنة على تقديم الوعود بالقروض المالية، وبدفع الجزية، وبالمعونة الفنية، لوقف تدهور المالية العثمانية. وركز في مفاوضاته مع الدول الكبرى على الفوائد الامبريالية، والاستراتيجية، والاقتصادية، والمعنوية، التي تجنيها كل من هذه الدول نتيجة معاونتها في قيام (دولة اليهود) بفلسطين»<sup>(٣٠)</sup>.

هذا هو الجانب النظري من اطروحات هرتسل. اما الجانب العملي، فهو قائم على التحرك والاتصال بالدول الاوروبية لنيل الموافقة. وعلى هذا الاساس، اجري اتصالات بكل من المانيا وبريطانيا والنمسا وروسيا والفاينكان، ثم بالسلطان التركي عبد الحميد الثاني، لكنه اصطدم بموقف الرفض القاطع من قبل السلطان التركي، ولم تنفعه الوسائل المتعددة التي استخدمها، من رشوة، وخداع، وازدواجية في اسلوب العمل، في حمل الدول الاوروبية للضغط على السلطان.

وانحصر التفكير الهرتسلي، بعد فشله في اقناع السلطان العثماني وبعد مراجعاته الدول الاوروبية، في التجمع في قبرص او في العريش؛ كما طرح فكرة التجمع في اوغنده وفي موزامبيق، لبصار، بعد ذلك، الانتقال الى فلسطين. غير ان هرتسل لاقى حتفه قبل ان يحقق حلمه. الا انه مهد السبيل لزعماء الصهيونية لمتابعة خطواته من اجل الحصول على «البراءة»، وهو الامر الذي تحقق في وعد بلفور (١٩١٧) على يد خليفته هاييم وايزمان<sup>(٣١)</sup>.

ويبقى، ان اهم ما انجزه هرتسل هو تمكنه من عقد مؤتمر بازل الصهيوني العام ١٨٩٧، الذي تحدد فيه هدف الصهيونية في خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين، والعمل على استعمارها بواسطة عمال زارعين مهاجرين، وتقوية الشعور بالوعي القومي اليهودي، واستمرار السعي للحصول على موافقة الحكومات الضرورية لتحقيق الهدف<sup>(٣٢)</sup>.

يتضح من برنامج بازل ان الصهيونية حركة استعمارية استيطانية تهدف الى اقتلاع سكان فلسطين واحلال مهاجرين يهود مكانهم، بالاعتماد على رعاية الدول الكبرى، التي بمقدورها انتزاع الموافقة من السلطنة العثمانية لتحقيق غاية الصهيونية. ويتضح، ايضاً، انها حليف للدول الامبريالية، لكنها، مع ذلك... تميزت عن غيرها بأنها لم تكن مجرد اداة امتداد للدولة الامبريالية الام، بل كانت حركة استعمار في حد ذاتها موالية للامبريالية العالمية ودولها المختلفة، دون تحديد دائم ومستمر. كذلك، فان الاستعمار عند الصهيونية كان اداة لخلق القومية والدولة القومية وليس لقومية قائمة ومنتحلة بالفعل<sup>(٣٣)</sup>.